بيانُ حقيقةِ ليلةِ القدرِ[1][2]

وكيفيّةِ الاختلافِ فيها بحسبِ اختلافِ الآفاق[3]

السيّد أبو الحسن الرفيعيّ القزوينيّ[4]

(١٣٠٦-١٣٩٦هـ)

ترجمة : أيّوب ناصر نعمة

Explanation of the reality of Laylat al-Qadr How do they differ in their differences Seyad Abu Al-Hassan Al-Rafi Al-Qazwini (d. 1306-1396 AH)

Translated by: Ayoub Nasser Nehme

Email: ayoobalfathely@gmail.com

(١) جميع ما ورد في الهامش من المترجم.

(٢) ما يتناوله العلاّمة القزويني في هذا البحث من بيان ليلة القدر مبنيٌّ على قواعد ومنهج الحكمة المتعالية، إذْ يعتمد مصادرها، وهي: النقل والكشف والبرهان.

(٣) لا يخفى من أنّ هناك خلافاً بين العلماء في تحديد الهلال والقول بوحدة الأفق وتعدده وما إلى ذلك من مسائل، وكيف كان فالتعدد بالأفق موجود بمعنى من المعاني على جميع الآراء، وهذه المقالة تعالج كيفيّة تعدد ليلة القدر بتعدد الأفق.

(٤) مفسر وفقيه وفيلسوف، له جملة من المؤلفات مخطوطة ومطبوعة، والمنشور منها رسالته العمليّة (هداية الأنام)، وشرح دعاء السحر، والمعراج، وغيرها. لاحظ تفاصيل عن حياته الكريمة على سبيل المثال: مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٨.

ملخص البحث

عالج الكاتب المحقّق مسألة جوهريّة، وتُعدّ موضع الأستفهام والاستفسار عن دلالة ليلة القدر إذا قلنا أنّها مثلًا الليلة الثالثة والعشرون من شهر رمضان ، وعبر تعدد الأفق تتعدد الليالي ، ففي بلد الليلة الثالثة والعشرون ، وفي بلدٍ آخر بعد هذا التأريخ فهل تعدد ليلة القدر مع هذا التعدد في الأفق ؟ أم أنّها واحدةٌ؟

فجاءت هذه المقالة جواباً عن هذه الإشكالية.

Abstract

The investigative writer has dealt with a fundamental issue and it is the subject of questioning and inquiring about the significance of Laylat al-Qadr if we say for example that it is the twenty-third night of the month of Ramadan and across the multiplicity of the horizon the nights are multiplied so in the country of the twenty-third night and in another country after this date is the multiplicity of the Night of Decree with this multiplicity In sight ? Or is it one?

This article came as an answer to this problem.

إنّ كلّ حقيقةٍ من حقائق الممكنات له ثلاث مراتب وجوديّة مختلفة في ضوء نشآت عوالم الوجود، ومجمل تلك المراتب، هي:

الأوّل: الوجود العقليّ المجرّد من المادّة ولواحقها في عالم الابداع.

الثاني: الوجود المثاليّ البرزخيّ[1]، وحقيقة هذا النحو من الوجود مجرّد عن المادّة، لكن غير مجرّد عقليّا، نعم له لواحق المادّة من الشكل والمقدار، كالصور الخياليّة الموجودة في صُقع الخيال، ولمّا كان هذا الوجود ليس ماديّا جسمانيّا في هذه الرتبة؛ فلا طريق للتأثّر والانفعال والتغيّر فيه.

الثالث: الوجود الطبيعي المادّي، وحقيقته نحو من وجودٍ قائم بالمادّة الجسمانيّة.

واعلم أنّ الوجوديّة في عالم العقلي الإبداعي مجرّدة عن جميع شؤون المادّة، وفي تلك المرتبة من الوجود هناك وجودٌ واحدٌ كاملٌ فردٌ لا تعدد فيه، بل غير قابل للتعدد، فجميع خواص وآثار ذلك النوع في فرد المتحقّق بالنهج العقليّ، وهو كليٌّ لجميع الافراد المادّيّة[2] مع عين بساطته ووحدته، والوجود الجمعي لكلّ ذلك. ولكن في الوجود المثاليّ والطبيعيّ لذلك النوع يمكن تصوّر له أفراد كثيرة عبر العوارض التي بها يحصل التميّز والتعدد.

وممّا ينبغي الإشارة له في هذا السياق: أنّ هذه المراتب الوجوديّة الثلاثة مع أنّ لكلّ حقيقةٍ منها لها تلك المراتب، لكن لا يعني ذلك انفصالها عن بعضها ونفي العلاقة بينها، بل من

(١) قد يتبادر للذهن المراد من عالم المثال المثل الافلاطونيّة؛ ولكن هناك فرق بينهما ؛ فإنَّ المثل الأفلاطونيّة هى العقول المجرّدة التى لا تحمل خصائص المادّة وآثارها، وهى من نوع الموجودات الماديّة، بخلاف موجودات عالم المثال التى تحمل آثار المادّة، دون المادة نفسها .

(٢) والمراد بكلّيّته استواء نسبته إلى جميع الأفراد المادّيّة، وتوضيحا لهذا المطلب نقول: إنّ الكلّيّة لها إطلاقات متعدّدة:
منها: السعة الوجوديّة، وهو الكلّي العرفانيّ.
ومنها: ما يكون بمعنى: كونها صفة للمفهوم، وهو الكلّي المنطقيّ .
ومنها: ما يكون بمعنى: كونها صفة للعلم، وهو المصطلح عليه ب «علم ما قبل الكثرة».
ومنها: استواء النسبة الوجوديّة لموجود إلى الموجودات التي يدبّرها ويعتني بأمرها. وهذا هو المراد في تعبير السيّد الرفيعي القزويني.

منطلق القاعدتين المُحْكمتينِ الحكيمتين: أصالة الوجود[١]، والاشتراك المعنويّ للوجود[٢]، يضحى نسبة الوجود الطبيعيّ للمثاليّ نسبة الظلّ لذي الظلّ، والعكس للعاكس، والفرع للأصل، وهكذا نسبة الوجود المثاليّ والطبيعيّ إلى الوجود العقلائيّ الإبداعيّ نسبة الظلّ والعكس الى ذي الظلّ والعاكس، فالوجود العقلي إذا تنزّل يكون وجودًا مثاليًا، والمثالي إذا تنزّل يكون وجوداً ماديّا، وهذا الوجود الماديّ إذا صعد يكون مثاليّا، والمثالي إذا صعد يكون عقليّا [٣]، ومنشأ هذا التفاوت والاختلاف راجع الى حقيقة الصفاء والطهارة والشائبة والتلوّث؛ وتتجلّى هذه المراتب بحسب اقتضاء نشأت عالم الوجود، ولا يخفى أنّ الوجود المثاليّ، والطبيعيّ من آثار الوجود العقلي.

وليعلم أنّ الوجود العقليّ هو أصل النّوع لإفراد المثالي والطبيعي، فهو المربّي والمكمّل وصاحب العناية للوجودات المثاليّة والطبيعيّة، وهي بمنزلة الاظلّة والاشعة للوجود العقليّ، ودائمًا يجري الفيض الالهي عن طريق العقليّ للمثاليّ والطبيعيّ.

وهذا الوجود العقليّ الإبداعيّ حقيقة عُبِر عنها بلسان الشرع الأنور: الملك الموكّل، مثل: الملك الموكّل بالماء، أو الهواء، وغيرهما الكثير ممّا ورد في الأخبار في هذا المضمار[٤] .

(١) تُعدّ هذه القاعدة الأساس للحكمة المتعالية التي شيّدها الفيلسوف محمّد بن إبراهيم الشيرازي(١٠٥٠هـ)، ولها تفاصيل كثيرة جدّا، ولكن مفادها بنحو الايجاز: الإلتزام بوجود مصداق واقعي وحقيقة عينيّة لمفهوم الوجود . راجع تفاصيل هذه القاعدة على سبيل المثال: بداية الحكمة:١٣، نهاية الحكمة: ١٠ .

(٢) اتّفق الفلاسفة على أنّ الوجود مشترك معنوي، وبيانه باختصارشديد: أنّ مفهوم الوجود عندما ينطبق على المصاديق الخارجيّة، مثل: شجر موجود، حجر موجود، ممكن الوجود، واجب الوجود يكون بمعنى واحد، وهذه هي النظريّة المختارة ، وإلّا فهناك نظريّات أُخر في المقام لا حاجة إلى نقلها. راجع على سبيل المثال: نهاية الحكمة (تعليقة استاذنا الشيخ غلام رضا الفياضيّ) ١ : ٣٦ .

(٣) هذه الموجودات الثلاثة مترتّبة طولاً، فأعلاها مرتبة وأقواها وجودا هو العقل المجرّد، لتمام فعليّته وتنزّه وجوده عن مقارنة المادّة والقوّة والاستعداد ونحوها، ويليه الوجود المثالي المتنزّه عن المادّة دون بعض آثارها، ويليه عالم المادّة موطن النقص والشرّ والقوّة والاستعداد والحركة والسيلان.

(٤) ثمّة روايات في تصنيف الملائكة الموكّلة، فمنها: عن جَابِرٍ، قَالَ: (كُنْتُ أُمَاشِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى الْفُرَاتِ، إِذْ خَرَجَتْ مَوْجَةٌ عَظِيمَةٌ فَغَطَّتْهُ حَتَّى اسْتَتَرَ عَنِّي، ثُمَّ انْحَسَرَتْ عَنْهُ وَلَا رُطُوبَةَ عَلَيْهِ، فَوَجَمْتُ لِذَلِكَ وَ تَعَجَّبْتُ، وَ سَأَلْتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: وَ رَأَيْتَ ذَلِكَ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّمَا الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْمَاءِ خَرَجَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَ اعْتَنَقَنِي). الأمالي (للطوسي) :٢٩٨.

فالإنسان مثلًا لوجوده وجودٌ طبيعيّ، وهو المشهود المحسوس، ووجودٌ مثاليّ برزخي كما يحصل للنائم في نومه[1]

ووجودٌ عقلائيٌّ صاف عن اللوازم الحيوانيّة والآثار المادّيّة، فيكون للإنسان تمام صفات الإنسانيّة وبنحو أقدس وأرفع، وبنظرٍ دقيق: حقيقة الإنسان هو وجوده العقليّ الأبداعيّ، وأمّا وجوده المثالي والطبيعي فهو بمنزلة الكدورة والسفالة لذلك الوجود.

بعد أن اتّضحت هذه المطالب المتقدّمة، نقول:

إنّ ما تقدم من أنّ لكلّ وجودٍ امكاني ثلاث مراتب فكذلك ينطبق على حقيقة الزمان من السنة، والشهر، والاسبوع، والنهار، والليل، والساعات، والدقائق، فأمّا الوجود العقليّ للزمان فهو بسيطٌ وغير قابل للتعدد، ويقال له: الدهر الأعلى، وهذه الحقيقة ظلّها منتشر على السنة والشهر والليل والنهار، وهو بمنزلة الروح من الجسد لها، وهو واحد فردٌ لا اثنيّة فيه.

وأمّا الوجود المثالي للزمان الذي هو ظرف للوجودات المثاليّة، ليس بسيطًا كالوجود العقليّ، ولا يشع عليه من وحدته وبساطته، ويقال له: الدهر الأسفل.

وأمّا الوجود الماديّ الطبيعيّ للزمان هو المدّة السابقة والحوادث التي يطلق عليها: قبل وبعد، وتقدّم وتأخّر، وانقسام وتجزئة وتعدد، والتي تكون مورد حساب المنجمين، و منها

(١) قُسّم عالم المثال من قبل مثبتيه إلى قسمين:
الأوّل: عالم المثال المنفصل (المثال الأعظم)، وهو: وجودات جوهريّة مجرّدة قائمة بنفسها ذات آثار، كالآثار التي يراها النائم في نومه، وممّا لا يخفى أنَّ الآثار التي يراها النائم في النوم هي ليست من خصائص مادّة الشيء لكي نقول بفقدانها فيه عند تلك الحالة، بل هي من خصائص صورته، والآثار تشتدّ بالخروج من هذا العالم؛ لأنّه عالم الغيبوبة لا الحضور والاجتماع، فلا ملازمة بين انتفاء المادّة وانتفاء آثارها.
الثاني: عالم المثال المتّصل (المثال الأصغر)، وهو: القائم بالنّفس، والذى تتحكّم فيه المتصرّفة بحسب الدواعي المختلفة، فتوجد تارة صورة حقّة صالحة، وتشغل نفسها تارة بصورٍ جزافيّة باطلة، فعندما يفاض عليها وجود الإنسان ووجود الفرس مثلًا تقوم القوّة المتصرّفة بالتركيب والتغيّير، فتأخذ رأس الإنسان وتضعه على جسم الفرس، فتقوم بإنشاء الصورلا واقعيّة لها، بل هي من مخترعاتها وإنشاءاتها

فصول السنة الأربعة، والسنة، والشهر، والأيام.

وفي ضوء هذه المعطيات المتقدّمة نبيّن المطلب الأساسي الذي عقد البحث له، فنقول:

لا شكّ أنّ ليلة القدر لها زمانٌ مخصوصٌ، وهي إمّا من ليالي شهر رمضان المبارك أو غيره، والأقوى هي ليلة الثالث والعشرون من شهر الصيام[1]، والحقيقة أنّ الوجود العقلائي محيط، وهو وجودٌ واحدٌ، ولكن محيط بالوجودات المثاليّة لتلك الليلة، المقررة لجملة ونوع من الملائكة، ووجود طبيعيّ ماديّ ، وزمانيّ التي هي ليلة القدر عندنا، وفي عالمنا.

وتبيّن فيما تقدّم من أنّ الوجود الطبيعيّ كلّ حقيقة متعدّدة، وليلةُ القدر الزمانيّة من هذا القبيل؛ فهي باعتبار السنين متعدّدة، وهكذا هي متعدّدة باختلاف الآفاق، بمعنى: كلّ افقٍ يُرى فيه هلال شهر رمضان، ويجري الحساب من ليلة الرؤية وبعد مضي اثنتا وعشرون ليلة تمسي ليلة القدر أي: الليلة الثالثة والعشرون، وهي ليلة القدر الزماني لذلك الأفق، وهي واحدة من مظاهر واظلال ليلة القدر الدهري ، التي هي في عالم الإبداع، كما أنّه اذا شوهد الهلال في افق آخر فهي ليلة الثالثة والعشرون، فهي ليلة قدر أُخرى، فهي ليلة قدر زماني وطبيعي لذلك الأفق، ومظهر آخر من مظاهر الدهر، وهكذا.

(١) هناك روايات كثيرة عن ليلة القدر وتحديدها، فمنها:
عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُهُ (أي: الإمام الصادق عليه السلام) يَقُولُ وَ نَاسٌ يَسْأَلُونَهُ يَقُولُونَ الْأَرْزَاقُ تُقَسَّمُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ : فَقَالَ لَا وَاللَّهِ مَا ذَاكَ إِلَّا فِي لَيْلَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ فِي لَيْلَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ يَلْتَقِي الْجَمْعَانِ ، وَفِي لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ وَ فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ يُمْضَى مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قَالَ قُلْتُ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ يَلْتَقِي الْجَمْعَانِ قَالَ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهَا مَا أَرَادَ مِنْ تَقْدِيمِهِ ، وَتَأْخِيرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ ، قَالَ قُلْتُ فَمَا مَعْنَى يُمْضِيهِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ قَالَ إِنَّهُ يَفْرُقُهُ فِي لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَيَكُونُ لَهُ فِيهِ الْبَدَاءُ فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ أَمْضَاهُ فَيَكُونُ مِنَ الْمَحْتُومِ الَّذِي لَا يَبْدُو لَهُ فِيهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى.الكافي ٤ :١٥٨.
وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (فِي لَيْلَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ التَّقْدِيرُ ، وَفِي لَيْلَةِ إِحْدَى وَ عِشْرِينَ الْقَضَاءُ، وَفِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ إِبْرَامُ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي خَلْقِهِ).الكافي ٤ :١٦٠.

وعليه فليلة القدر الدهري واحدةٌ، ولكن ليالي القدر الزماني في عالم الزمان والطبيعي تختلف وتعدد باختلاف الآفاق، ولا منافاة في ذلك، فالوحدة في الدهر، والتعدد في الزمان؛ فهي من مقتضيات عالم الدهر وعالم الزمان، كما أنّ هذا المعنى لا يختصر على ليلة القدر، بل كما أشرنا سابقاً من أنّه يجري في كلّ حقيقةٍ إمكانيّة.

ومنه ليالي القدر بحسب اختلاف الآفاق من جهة الزمان متعدّدة ومختلفة. نعم ، كلّها متّصلة ومرتبطة ومتّحدة بليلة القدر الدهري؛ لأنّ جميعها اظلال من حقيقة ليلة القدر الدهريّة.

ونمثّل لذلك بمثالٍ : نفرض شكلا مخروطيّا نقطة الرأس باتجاه الأعلى، وقاعدته إلى الأسفل، وهناك خطوط شعاعيّة من نقطة رأس المخروط إلى الطرف الأسفل من قاعدة المخروطي، وهذه الخطوط الشعاعية متعدّدة من جهات مختلفة، ولكن من حيث الاتّصال فكلّها متّصلة برأس المخروط الواحد، وفي اتّجاه واحد ، ومع أنّ قاعدة المخروط متعدّدة ولها سعة هندسيّة، ولكن من جهة الارتباط والاتصال برأس المخروط البسيط.

والخلاصة: أنّ الوحدة والبساطة للحقائق من أحكام الموجوديّة في عالم ما فوق الطبيعة، وأمّا التعدد والتجزئة ، والتكثر من أحكام وعوارض الموجوديّة والوجود في عالم الطبيعة والمادّة ، وهذا المطلب يحتاج الى تأمّل عميق كي تصل إلى الحقيقة.

تلويحٌ الهاميٌّ

لا يخفى على المحقّق الخبير والعارف البصير من الممكن الحديث والتعرّض في أمر ليلة القدر الذي تنزل فيها الملائكة إلى الأرض[1]، وفيه عناية مُنزلة مخصوصة معهم إلى المؤمنين، وهذا مطابق لمضمون الآية المباركة في سورة القدر، ففيها إشارة لهذا المعنى، أي: أنّ ليلة القدر الدهري الروح مجرّد، والملك مقرّب، ومع الإلتفات إلى ذلك ليلة القدر الزماني رسمٌ لليلة القدر الزماني، وتترتّب عليها أحكام ليلة القدر، ولو لم يكن روح الدهر في جسد

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾. سورة القدر، الآيتان: ٤-٥.

الزمان ، وليل زمان ليلة القدر لمّا رجعت الى الدهري و لم تتقوّم به، مثل سائر ليالي السنة؛ فافهم واغتنم.

الحمد لله سبحانه على فضله والهامه لمحرّره ابي الحسن الحسينيّ القزوينيّ.

المراجع و المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. أصول الكافي، ثقة الإسلام الشيخ أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران.

٣. بداية الحكمة، العلّامة السيّد محمّد حسين الطبأطبائي، نشر جماعة المدرسين، قم.

٤. مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات لبنان– بيروت١٤٠٨ هـ.

٥. نهاية الحكمة ، محمّد حسين الطباطبائي ، صحّحها وعلّق عليها الشيخ الأستاذ غلام رضا الفياضي، مركز انتشارات آموزشي وپژوهشي إمام خميني، ١٤٢٤ هـ، قم المقدسة، ط١.

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا